الأهرام

المصدر: الوطن القطرى

التاريخ : ١١ مايو ٢٠٠٤

مثلث الفضيحة

غير صحيح ان فضيحة تعذيب العراقيين ذات وجه واحد يمحوه اعتذار أو تأنيب ضمير أو تصريح رئاسي أو وزاري صادر من الولايات المتحدة.

الفضيحة ذات أضلاع ثلاثة، وواشنطن تريد ان تقنعنا بانها من ضلع وحيد اسمه: أخطاء فردية.

ما جرى في سجن أبو غريب، وفي غيره مما نعلم وما لا نعلم فعل عمدي مع سبق الاصرار والترصد.. فيه ذلك الجانب الذي يشير له بوش ووزيره رامسفيلد: المسؤولية الفردية والتي ما كان يمكن إلغاؤها بعد ان تم تقديم صور توضح أشخاص الجلادين.

والقضية هنا، مثل أي قضية تعذيب يكون فيها نصيب الزبانية: تنفيذ تعليمات إجرامية، أو التجاوز في استخدام ما لديهم من صلاحيات.. و.. هذا ما قالته مسؤولة سابقة عن التعذيب: «لقد جاءتنا الأوامر من المخابرات» بينما قالت أخرى. والتي تم نشر صورها بوضوح. «لقد قالوا لي اصنعي جهنم في أبوغريب حتى يمكن استجواب المساجين واخذ اعترافاتهم بعد ذلك».

نحن إذن أمام اتهامات شخصية حاول رامسفيلد ان يمحوها أو يخفف منها حين قال ان ما جرى ليس جريمة حرب، وان المساجين ليسوا أسرى.. انهم إرهابيون.

قبلها، كانت واشنطن قد احتاطت للأمر فألغت موافقتها على المحكمة الجنائية الدولية وهي في الطريق إلى أفغانستان ومن بعدها العراق، بل ان الولايات المتحدة راحت تحصل على موافقات الدول باستثناء جنودها من اية محاكمات.. أي أنه إذن مسبق بانتهاك كل القوانين والاعراف والقيم، انتهاك تباركه الدولة الأميركية وتحتاط له.

نعم.. هناك مسؤولية شخصية وهذا ضلع واحد من اضلاع المأساة، أما الضلع الثاني فهي مسؤولية الدولة والمؤسسة العسكرية التي احتلت وخططت وأمرت.

التعذيب نظام وليس فعلا استثنائيا، ودموع التماسيح التي ذرفها هذا المسؤول أو ذاك في واشنطن مجرد نفاق سياسي، وخداع فاضح ورخيص.

و.. يبقى ضلع ثالث للجريمة: كيف يتحول الانسان إلى وحش مفترس؟.. كيف يجد انسان سعادته في دماء تنزف من شخص آخر وآهات تنبعث تحت تأثير السياط والحبال والأسلاك الكهربائية، كيف يستعذب البعض آلام الآخرين وصرخاتهم؟

إنها الدعوى الزائفة بأنهم أكثر تحضرا وتمدنا وانسانية.

ان شارون يرتدي الملابس الرسمية كأي مسؤول محترم، لكنه وقبل ان ينام يكون قد فعل ما يفعله أكلة لحوم البشر الذين سمعنا عنهم في التاريخ الأفريقي.

ومثل شارون مواطن أو مسؤول أميركي قد يملك أو لا يملك اتخاذ القرار، لكنه يملك مشاعر حيوانية يعبر عنها بحرية داخل جدران سجن، أو داخل قفص يكون فيه الآخرون بلا حول ولا قوة.

ما يجري سلوك حيواني يحتاج لتحليل نفسي.. كيف يخفي مجتمع يقول انه الأكثر تقدما.. أنياب ذئب، وشهية ثعبان، وعزيمة نمر متوحش؟

في التاريخ ان الولايات المتحدة قد استقرت واستقلت بعد ان أكل الانسان الابيض سكان البلاد الاصليين من زنوج وهنود حمر وملونين.

وفي التاريخ الاجتماعي، انهم أسسوا مجتمعا قائما على العنف، لكننا لم نعرف ان أحد أركانه وحين يخرج للغزو: التصرف بشكل حيواني متوحش.

و.. هكذا يكتمل مثلث الفضيحة من الفرد إلى النظام، ومن النظام إلى المجتمع رغم وجود أصوات حرة هنا وهناك.

■ **محمود المراغي**

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية